الجغرافيا علم للسلم أكثر بكثير مما هي علم للحرب

غسان مراد

في عدد سابق اعتبرنا أنّ الجغرافيا هي علم المكان، وأن التاريخ علم الزمان... ولكن ما هو متحرّك بالرغم من سكونه هي الجغرافيا.

وإذا كانت الحروب في معظمها تتعلّق بالجغرافيا، كما يرى "إيف لاكوست" في كتابة "تستخدم الجغرافيا، في المقام الأول، للقيام بالحرب" من الممكن الاعتبار أنها أيضًا تهتم بكل ما له صله بالحياة، من تنظيم واستراتيجيات، وإغاثة، ومناخ، وبيئة، وتجانس، ... وخصوبة ... لدرجة أنّها تهدف إلى السلم، وتخدمه أكثر بكثير من خدمتها للحرب! وإذا نظرنا إلى كلّ ما يتعلّق بالجغرافيا كعلم نجد أنّها بقدر ما تتداخل مع العلوم الإنسانية فإنها أيضًا متداخلة مع العلوم الصحيحة، الهندسة والرياضيات والكيمياء والفيزياء والمعلوماتية... علم أدى ليس فقط إلى أن نعرف أين نحن موجودون الآن، بل بات العالم كلّه يعرف المكان الذي نوجد فيه إذا أراد ذلك.

تتداخل العناوين في هذا العدد، ولكن الكلمة الفصل هي الخصوبة. وإذا كان العدد الحالي للمجلة يبدأ بالفيضانات التي تحصل في منطقة رياق – "حوش حالا" والكوارث التي تسببها، تطرح المقالة وجهة نظر عن كيفية التصدي لهذه الظاهرة على اعتبار "أن التصدي للفيضانات هو عمل تعاوني جماعي يشمل كلّ السلطات المحلية والوطنية. هذا الأمر يمكن أن يسهم في حماية التجمعات العمرانية والمساحات الزراعية من هذا الخطر." وللمفارقة، فإذا كان المقال الأول عن "كثرة المياه" فإن المقال الثاني هو عن قلة المياه، من خلال طرح موضوع الجفاف في منطقة في بعلبك الهرمل، مكان قريب جدًا من مكان الفيضانات، وما تثيره هذه الظاهرة من مشكلات تحتاج إلى حلول. أما المقال الثالث فهو عن الزراعة في المنطقة الجغرافية نفسها، وإذا كانت الفيضانات تتلف المزروعات، فإن الجفاف أيضًا لا يساعد في نموّها، ما يؤدي إلى تراجع في المردود الاقتصادي، ويدفع بالعائلات والأُسر للتخلي عن العمل الزراعي والتوجّه نحو أنشطة تعدّ أكثر ربحية، كما التخلي عن المساحات الزراعية واستخدامها الزراعي... كل ذلك يدفع إلى تغيير في البنية المهنية بين الأجيال، جيل الآباء المزارعين وجيل الأبناء.

ويحدّد البحث الرابع مناطق خشونة التضاريس الكارستية المؤهلة في منطقة جاج اللبنانية، ويطرح كيفية تمثيل التضاريس الكارستية في نماذج سطحية رقمية مكانية عالية الدقة تعتمد على القياس التصويري للطائرات، بدون طيار وطرق نظم المعلومات الجغرافية (GIS) لوصف نسيج التضاريس الكارستية وتقييمه وتحديده بشكل فعال.

وبين خصوبة الأرض الزراعية وخصوبة المياه، وتضاريس منطقة جاج (منطقة جبيل اللبنانية)، يطرح البحث الأخير من هذا العدد مسألة خصوبة النساء في مدينة بعلبك، بحسب تقنيات علم الديمغرافيا. ويلقي الضوء على المقاييس المتنوعة لهذه الخصوبة، والعوامل المؤثرة فيها، كما يبحث في جدول الخصوبة، مع دراسة رزنامتها.

مع تعدّد المواضيع نؤكد أن الجغرافيا هي علم للسلم والأمان الاجتماعي، لذلك كان هذا العدد.